

لفز العفريّة سلطنة



مغامرات
لغز العفريّة سلطنة
تأليف: سحر زكي

لغز العفريتة سلطنة

اللغز الغامض

سامر كان مستلقيا على سريرته، متأثرا بنوبة شديدة من الإنفلونزا التي أصابته قبل أسبوع. دخل أخوه الأكبر، سيف، إلى الغرفة وسأله بلطف: "كيف حالك الآن يا سامر؟". لكن سامر لم يرد. وبعد لحظات من الصمت، غادر سيف الغرفة بهدوء.

عند خروجه من الغرفة، التقى سيف بأخته سارة التي كانت متجهة للاطمئنان على صحة سامر. فقال لها محذرا: "أنصحك بعدم الدخول، حتى قطه المفضل، ميمي، الذي لا يفارقه أبدا، طرده من الغرفة رغم إلحاحه المستمر وموائه المتواصل."

قالت سارة مبتسمة: "أنا أيضا كنت مريضة، لكنني لم أتصرف مثله." فضحك سيف مجيبا: "لأن البنات عادة ما يتحملن أكثر من الأولاد." ردت سارة وهي تتنهد: لا بأس، ربما يستطيع جدي بدر، الذي سيصل غدا، أن يخرج من حالة الكآبة التي تلازمه."



سامر کان مستقلقیا علی سریره

أضافت سارة قائلة: "ربما يشعر جدي بالوحدة." فرد عليها سيف متأملاً: "أو ربما هناك سبب آخر خفي وراء هذه الزيارة المفاجئة".

الإخوة الثلاثة: سيف، سامر، وسارة، ليسوا كغيرهم من الأطفال. فهم يتميزون بذكاء استثنائي، وسرعة بديهة لافتة، وشجاعة غير عادية. إلى جانب راحة العقل وبُعد النظر، يبرز حبهم للمغامرات والمخاطر، وسعيهم الدائم لتخطي كل العقبات التي تواجههم.

وصل التاكسي الذي يقل الجد بدر، وتعلقت عيونهم الست بشخصه من خلف النوافذ. كان يبدو عجوزاً حقاً، يتوكأ على عصاه بصعوبة، وقد بدت ساقاه بالكاد قادرتين على حمله. لم يكن هناك شك في أنه يشعر بالإرهاق بعد الرحلة الطويلة والشاقة.

عند دخوله المنزل، جلس الجد بدر وسط أحفاده، يتأمل وجوههم بعينين لامعتين تنبضان بالذكاء، رغم سنوات عمره الثمانين. تفحصهم بإمعان ثم قال مبتسماً: "أنت سيف، وأنت سامر، وأنت سارة بالطبع. لم تتغيروا كثيراً منذ زيارتي الأخيرة لكم العام الماضي."

أجاب سيف وسارة معا في انسجام: "هذا صحيح يا جدي، لكننا زدنا طولا قليلا." أما سامر، فظل صامتا كعادته، قبل أن ينهض فجأة متجها إلى غرفته. أثار تصرفه دهشة الجد بدر، لكن سارة سارعت لتوضيح الأمر قائلة: "سامر كان مريضا بالإنفلونزا مؤخرا، وربما أثر الرقاد الطويل على أعصابه. لكنه في العادة ولد نشيط ومهذب."

هز الجد بدر رأسه وقال: "سامر يحتاج إلى تغيير الجو والمكان بعد مرضه، وأنتم أيضا يا سارة وسيف. ما رأيكم بإجازة قصيرة تقضونها معي في منزلي بمرسى مطروح؟".

توجهت سارة بنظرة استعطاف نحو والدها، الذي كان يجلس معهم، وكأنها تلتمس موافقته على هذه الدعوة. لم يتردد الوالد في القبول، موضحا أن سيف سيلحق بهم بعد أيام لإنجاز عمل هام كلف به. وأكد أن الفرصة مناسبة خاصة مع اقتراب إجازة آخر السنة بعد أربعة أيام.

نادت سارة على سامر، الذي جاء ببطء وتكاسل. لكنها سارعت لإبلاغه بالخبر السعيد، وما إن سمعه حتى أشرق وجهه بابتسامة عريضة ومشرفة.

قال الجد بدر مبتسمًا: "منزلي يقع شرق مرسى مطروح، عند سفح ربوة صخرية قريبة من شاطئ البحر. الشاطئ هناك يزخر بالصخور الجميلة التي تشبه صخرة روميل الشهيرة، بالإضافة إلى بعض الكهوف الصغيرة المهجورة".

توقف الجد قليلاً ثم تابع بنبرة تنم عن دهاء: "هناك أيضاً سبب وجيه آخر بجانب النزهة وتغيير الجو". للمرة الأولى منذ أسبوع، نطق سامر بحماس وهو يكاد يقفز من الفرح: "وما هو هذا السبب يا جدي؟". ابتسم الجد بدر وقال: "لدي لغز صغير غامض أحتاج مساعدتكم لحله".

عندما سمع سيف هذا الخبر، شعر بالندم لأنه لم يصب مثلهم بالإنفلونزا، وتأسف لانشغاله بالعمل الذي سيحرمه من مشاركة إخوته في هذه المغامرة الممتعة وحل اللغز الغامض.

وصل الجد بدر برفقة سامر وسارة إلى الإسكندرية، حيث كان سامر يحمل بين يديه قطه "ميمي" الذي لا يفارقه أبداً.



كان ميمي قطا أسود ضخما بعينين خضراوين
كبيرتين تشبهان عيون النمر. بعد ساعة، استقل الأربعة
قطارا آخر انطلق بسرعة نحو مرسى مطروح.

كان سامر وسارة يراقبان المناظر من نافذة القطار،
معجبين برمال الصحراء الممتدة وطواحين الهواء
المنتشرة على الساحل، والتي تدور بفعل الرياح. شرح
الجد بدر لهما طريقة عمل الطواحين وكيف تستخرج المياه
من جوف الأرض لري الأراضي الصحراوية. أما ميمي،
فلم يعر أي اهتمام لهذه المشاهد، واكتفى بالنوم العميق.

عندما وصل القطار إلى مرسى مطروح، استقلوا
"الطفطف"، وهو عربة صغيرة مظلمة بقماش ويجرها
حمار. كانت الرحلة مريحة، رغم وعورة الطريق الذي
حذر الجد بدر السائق منه، خاصة عند المنحنى الذي يدور
حول صخرة تعرف باسم "صخرة بدر".

عندما قال السائق مازحا: "لا تقلقوا، معنا قط أسود
يجلب الحظ السعيد". ضحك الجد بدر وقال لسامر: "اسمع
يا سامر، قطك الأسود سيشتهر هنا".



كان سامر وسارة يراقبان المناظر من نافذة القطار

استفسر سامر عن السبب، فأخبره الجد أن سكان المنطقة يؤمنون بالخرافات، ويتفاءلون بالقطط السوداء.

أخيراً، وصلوا إلى منزل الجد بدر العريق، الذي يقع أسفل ربوة صخرية تُعرف بصخرة بدر، على بعد مسافة قصيرة من شاطئ البحر الأبيض المتوسط. استقبلتهم "سلطانة"، التي تعمل في خدمة الجد منذ ستة أشهر. كانت ترتدي جلباباً أسود وطرحه تغطي رأسها، بعينين مستديرتين تشبهان عيون البوم، مما أثار رغبة سامر وسارة من النظرة الأولى.

دخل الجميع إلى صالة المنزل، حيث أذهلهم الأثاث القديم والساعة ذات البندول الطويل التي تدق بصوت عال. كما لفتت انتباههم الخزانة القديمة المزينة بالعاج والصدف، ورؤوس الغزلان المحنطة على الجدران، التي كان يصطادها الجد في شبابه.

أما ميمي، فقد فوجئ ببغاء أخضر كبير في قفص جميل وهو يصيح: "إزيك؟ إنت مين؟ أهلا وسهلاً!"، مما جعل ميمي يتخذ وضعية الهجوم، رافعا ظهره وذيله.

صعد سامر وسارة إلى الطابق العلوي برفقة سلطنة،
التي قادتهم بمصباح صغير بسبب عدم وجود كهرباء في
المنزل. فتحت سلطنة باب غرفة سامر، وقالت: "هذه
حجرتك، والغرفة المجاورة لأختك."

وقبل أن يتحركا، ظهر خادم صغير يدعى باسم، يحمل
حقائبهما. بعد وضع الحقائب، انحنى باسم فجأة لالتقاط
شيء على الأرض، مما أثار غضب سلطنة، حيث
صاحت: "ماذا تفعل يا باسم؟".

أجاب باسم مرتبكا: "وجدت عقب سيجارة". لكن
سلطنة صرخت قائلة: "لا أحد هنا يدخن! أنت تتوهم!".
وأخذت القطعة بسرعة ووضعتها في جيبها.

شعر سامر فورا بالعطف نحو باسم، على عكس
مشاعره تجاه سلطنة. سألته إن كان متأكدا مما رآه، فأكد
باسم أنه كان عقب سيجارة.

بدأ سامر يشك في سلطنة، لكن بداخله كان يعتقد أن
هناك تفسير آخر لهذا الغموض.

كانت غرفة سامر واسعة، مليئة بأثاث بسيط، تحتوي على سرير، دولاب قديم، ومائدة صغيرة مزينة بمصباح وعلبة كبريت وشمعة، بالإضافة إلى طشت وإبريق ماء لغسيل الوجه. نافذة الغرفة تطل على حوش المنزل.

أطل سامر من النافذة. البحر يمتد بعيداً بزرقته الجميلة، وعلى يمينه تظهر "صخرة بدر" وكأنها شبح ضخم غامض. تخيل سامر أنه رأى غربان سوداء تحوم حول الصخرة، ولكنه لم يستطع عدها بدقة، هل هي ثمانية كما أخبره جده أم أكثر أو أقل؟ لم يكن متأكداً تماماً، فقد بدأ الظلام يقترب.

أضاء المصباح والشمعة، فانبثق الضوء، ورأى القط ميمي وهو يستلقي على السرير. فجأة، قفز القط وتسلل نحو باب صغير مغلق، وبدأ في مواء غريب. كان سامر يتحدث عادة مع ميمي، وكان يفهم إشاراتهِ جيداً، وكان القط يستجيب لحديثه.

قال سامر لميمي: هل اكتشفت شيئاً يا ميمي؟ فئران؟، ثم بدأ ميمي يخرّبش بمهارة على الباب بمخالبه وكأنه يقول: افتح هذا الباب من فضلك.



كانت غرفة سامر واسعة، مليئة بأثاث بسيط

لم يكن الباب الصغير مغلقاً بالمفتاح، لكن سامر وجد صعوبة في فتحه، وكان يشعر وكأن الباب لم يفتح منذ عقود طويلة. كان أمامه فراغ صغير يشبه غرفة صغيرة، وشاهد ضوءاً ينبعث من تحت العتبة.

كانت المفاجأة حين فتح الباب فجأة، وأطلقت منه رأس سارة. قال الاثنان: الآن يمكننا اللقاء دون قلق، فلا حاجة للطريقة الخارجية. بعيداً عن أعين سلطنة.

كانت الغرفة ضيقة، تشبه الدولاب الكبير، وأرضيتها خشبية، بينما في باقي الحجرات كانت الأرضيات مغطاة بالبلاط. ربما كانت تستخدم لتخزين الملابس قديماً، أو ربما كانت لها وظيفة أخرى. من يعلم؟.



كانت الغرفة ضيقة، تشبه الدولاب الكبير

العفريتة سلطنة

همست سارة في أذن أخيها وهما ينزلان السلم الضيق:
ما رأيك في سلطنة؟ إنها كاذبة. لقد رأيت بنفسي طرف
السيجارة الذهبية. فأجابها سامر: وهذا يعني أن باسم كان
صادقاً.

دخل الاثنان إلى حجرة الطعام، وجلست سارة بجوار
جدها بدر من جهة اليمين، وسامر على يساره، وكان
الثلاثة يتحدثون أثناء تناول الطعام، بينما كانوا يصمتون
عندما تدخل سلطنة.

كانت سلطنة تدخل فجأة ودون إذن، فأثارت الشكوك
حول تصرفاتها، واعتقدا بأنها تتجسس عليهم وتسترق
السمع. لذلك، بعد العشاء، اصطحبهم بدر إلى حجرة
المكتبة وأغلق الباب بإحكام.

كان سامر وسارة يتفحصان الأرفف المليئة بالكتب
القديمة المنظمة بدقة، وكانا يتساءلان بحيرة: هل قرأ جدهم
كل هذا الكم من المجلدات؟ ولم لا؟ فهو رجل عجوز
ومثقف، ولديه وقت فراغ لذلك.

جلسوا في صمت حتى بدأ الجد الحديث بابتسامة، وقال: والآن يمكننا التحدث بحرية. فأجابه سامر: نعم، وقد حان الوقت لتقي بوعدك. فابتسم بدر وهو يتظاهر بالدهشة: وعد؟ أي وعد؟.

فقالت سارة بحماس: اللغز الغامض الصغير، ألم تعدنا بحله؟. صمت بدر للحظة، بينما كان سامر وسارة يفكران: هل لهذا اللغز علاقة بأعقاب السجائر الذهبية؟ أو بالحجرة الصغيرة المكتشفة؟ أو بسلطانة الغامضة؟ أو الغربان السوداء وصخرة بدر؟ أو بأشياء أخرى قد تظهر لاحقاً؟.

وأخيراً تحدث بدر وقال: كانت سلطنة أحد أسباب سفري إلى القاهرة، بجانب رغبتني في رؤيتكما بالطبع. فقد أردت الابتعاد عنها لبعض الوقت.

عندما أخبرتها برغبتني في السفر، رحبت بذلك بشدة، فسألته سارة بدهشة: ولماذا رحبت برحيلك؟ فأجابها بدر: لأنها تريد إبعادي عن المنزل، وهذا موضوع سنتحدث عنه لاحقاً.

وأضاف: سلطنة لم تكن تتوقع عودتي من القاهرة بهذه السرعة، ولذلك لم ترحب بوصولي المفاجئ، لا سيما أنني كنت أصطحبكما معي، وهو أمر لم تكن تنتظره.

فقلت سارة: إذا كانت غريبة الأطوار، وأنت لا تطيقها، فلماذا لا تستبدلها؟ فأجابها بدر: لقد تعودت على تصرفاتها، وأصبحت أتحملها على مضض، فلا يسهل العثور على مثلها هنا في هذه الناحية النائية. فهي تقوم على شؤون المنزل من طهي وتنظيف وكنس. ولا تنسي أنني رجل في الثمانين يصعب تلبية طلباته.

قال سامر فجأة: ولكن ما علاقة كل هذا باللغز الغامض؟. وهنا نهض بدر من مقعده بصعوبة، لأنه كان يشكو من الروماتيزم، واتجه نحو رف يتوسط المكتبة ونظر إليه متفحصا.

ولكنه ما كاد يصل إلى الرف و يمد يده ليتناول كتابا، حتى فتح باب المكتبة فجأة، ودخلت سلطنة على غير انتظار. قالت سلطنة وهي تنظر إلى بدر: ألا تظن ياسي بدر أن الوقت متأخر عليهما وحان ميعاد النوم. وخاصة بعد رحلة اليوم الشاقة الطويلة من القاهرة.

صعد سامر وسارة السلم الضيق المظلم وهما يكادان
ينفجران من الغيظ والغضب وسلطانة تتبعهما ككلب
الحراسة الأمين. يا لحظهما العاثر.

كانا على وشك معرفة اللغز من جدهما، لولا دخول
سلطانة المفاجئ الذي أفسد كل شيء. هذه اللعينة سلطنة.
إنها تظهر دائماً في غير الوقت المناسب.

دخل كل منهما إلى غرفته، وأقفل بابه من الداخل
بالمفتاح. حاولت سلطانة أن تفتح باب سامر، فوجدته مغلقاً.
وعندئذ سمع صوتها الرفيع وهي تقول: لا تقفل الباب
بالمفتاح. إذ ما العمل إذا شب حريق. والفتور الساعة
التاسعة صباحاً.

أراد سامر أن يتحدث إلى سارة، ففتح باب الغرفة
الصغيرة المسروقة لينادي عليها، ولكنه كاد يصطدم بها إذ
خطر لها نفس الشيء، وكأنهما كانا على موعد.

دعا سامر أخته لدخول غرفته، بعد أن كان قد استعد
لمفاجآت سلطانة. وأقفل الباب.



كاد سامر وسارة ينفجران من الغيظ